الباب الثالث

أطباء العصر الطولونى

من ٢٥٤ إلى ٢٩٢ هـ

من ٨٦٨ إلى ٩٠٥ م

obeikandl.com

مقدمة الباب الثالث

علـى رغـم قصر فترة حكم الطولونيـين فى مصر التى لم تزد علـى ٣٨ عامًا، فإنها تعـد بدايـة للتأليف فى الطب باللغـة العربية فى مصر، كما تميز هـذا العصر ببناء البيمارستان العتيق (يعرف باسم البيمارستان الأعلى) الذى أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م.

كما ظهـرت تخصصات الأطباء على رغم قلة عددهم، فأبو على خلف الطولونى كان متخصصا فى طب العيون، وألف فيه؛ ومنهم من عمل بالطب وترك مصنفات عديدة فى موضوعات مختلفة.

وقـد كان للأطباء فى ذلك العهد أزياؤهم الخاصة، ولكل طبيب أعوانه ومسـاعدوه، ومن مهمتهم دق العقاقير وعجن الأدوية ونفخ النار.

وحتـى هـذا العصر لم نعـرف أطباء من اليهـود فى مصر، بل كانـوا من النصارى والمسلمين. وتعاظم أمر الأطباء اليهود فى مصر فى العصر الفاطمى بعد ذلك.

* * *

الحسن بن زيـرك

ت ٢٥٤ هـ/ ٨٦٨م

كان الحسـن بـن زيـرك أحـد الأطبـاء المقيمين مع أحمد بـن طولون، وفـى سـنة ٢٦٩ هـ خرج أحمد بن طوْلون إلى الشام، قاصداً الثغور لإصلاحها، وكان فى صحبته طبيب آخر هو سعيد بن توفيل وفى رحلته أكثر ابن طولون من شرب لبن الجواميس، فأدركته هيضة[١]، ولم يفلح سعيد بن توفيل فى معالجة ابن طولون منها، لعدم استجابته لتعليمات طبيبه. وعندما عاد إلى مصر أحضر الحسن بن زيرك لمعالجته، ولكن ابـن طولون لم يمتثل كذلك لتعليمات طبيبه الثانى، وبازدياد علته هدد جماعة الأطباء. وكان الحسـن بن زيرك شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه، واعتراه إسهال ذريع ومات[٢].

إبراهـيم بن عيـسى

ت ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣ م

كان إبراهيـم بن عيسـى الطبيب الخاص لأحمد بن طولـون (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م)، وقد رحل معه من بغداد إلى مصر، وعندما كان فى بغداد صحب يوحنا بن ماسويه[٣]، وقرأ عليه، وأخذ عنه.

وربمـا كان إبراهيـم بـن عيسـى أول من وصل إلى مصـر فى بداية حكـم الطولونيين سـنة ٢٥٤ هـ/ ٨٦٨م. واسـتمر فى خدمة أحمد بن طولون. وظل مقيما فى فسـطاط مصر إلى أن توفى نحو سـنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م[٤].

---

(١) الهيضة: مرض من أعراضه القيء الشديد والإسهال والهزال.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣/ ١٣٦ – ١٣٧

(٣) أبو زكريا يوحنا بن ماسـويه، وكان نسـطوريا من مدرسة جند يسابور وتوفى ٨٥٧ م، وهو يعرف فى الغرب باسم Mesue Major ، وفى عصر النهضة ورد ذكر هـذا الطبيب كثيراً باسـم يوحنا الدمشـقى Johanaes DamascenuS ، ونشـرت ترجمة كتابه النوادر الطبية بعنوان : Horismus Johanaes Damasceni , Bologna, 1404 ونسـبت إليه مؤلفات طبية كثيرة (بعضها بالسريانية) من بينها : دغل العين، وهو أول كتاب عربى منظم عن رمد العين (انظر ماكس مايرهوف : علاج العيون عند يوحنا بن ماسويه مجلة Der Islam حـ ٦ سنة ١٩١٦، ص ٢١٧ – ٢٦٣ و حـ ٨ سنة ١٩١٧ ص ١٠٨).

(٤) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٣٦

سعيد بن توفيل

ت حوالى ٢٦٩ هـ أو ٢٧٩ هـ

كان طبيبا نصرانيا متميزا فى صناعة الطب، وكان فى خدمة أحمد بن طولون، يرافقه فى الحل والترحال، وقد غضب عليه أحمد بن طولون قبل موته، وذلك كما أوضحنا فى الحديث عن الحسن بن زيرك[١].

وقد عمل سعيد بن توفيل فى البيمارستان العتيق (يعرف باسم البيمارستان الأعلى)[٢]، وقد أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م وقيل ٢٦١ هـ.

أبو على خلف الطولونى

ت بعد ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م

من أهالى مصر فى أيام الطولونيين، وكان مشتغلا بصناعةالطب. ولـه معرفة جيدة فى علم أمراض العين ومداواتها. وله كتاب « النهاية والكفاية فى تركيب العينين خلقتهما وعلاجهما وأدويتهما».

وفرغ من هذا الكتاب فى سنة ٣٠٢ هـ[٣]. ويذكر مايرهوف[٤] هذا الكتاب فيقول : « ولابد من أنه كان كتاباً ضخماً. ولكنه فقد من زمان بعيد على الأرجح. إذ كان هيرشبرج لم يعثر إلا على نبذة واحدة منه فى كتب طب العيون المتأخرة. أما أنا فلم أتمكن حتى الآن من العثورعلى شطر منه».

نسطاس بن جريج

مـن نصارى مصر العالمين بالطب، وكان فى دولة الإخشـيد بـن طغج (حكم من٣٢١ إلى ٣٣٤ هـ، وهو مؤسـس الدولة الإخشـيدية بمصر ٣٢٣ – ٣٥٩ هـ / ٩٣٥ – ٩٦٩ م). ومن أحفاده إسـحاق بن إبراهيم بن نسطاس طبيب الحاكم بأمر الله الفاطمى (٢٨٦– ٤١١ هـ/ ٩٩٦– ١٠٢١ م)[٥].

ولنسطاس من المؤلفات[٦]:

١– كناش (قندلفت بالقاهرة)، ذكر منه نسخة الأب بولس شباط فى ملحق فهرسته ص ١٥.

٢– رسـالة فى البول بعث بها إلى خالد بن رومان النصرانى الأندلسـى، وفيها استدلالات على أحوال الشخص وأمزجته من فحوص بوله.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٣٧

(٢) أحمد عيسى تاريخ البيمارستانات ص ٦٧

(٣) ابن أبى أصيبعة حـ ٣ / ١٤٠ – ١٤١

(٤) مايرهوف، كتاب العشر مقالات فى العين، ص ٩

(٥) ابن أبى أصيبعة حـ ٣ / ١٤١

(٦) السامرائى، تاريخ الطب، حـ ٢ / ٥٥٣

(فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية رسالة برقم ١٣٩ رياضيات عنوانها « رسالة فى كيفية الاستدلال بالبول على أحوال الشخص وأمراضه لنسطاس الحكيم ». وربما كانت هى المقصودة كما ذكر الأب بولس شباط فى ملحق فهرسته ص ١٥ «رسالة فى الأدوية الشجارية كتبها خالد بن يزيد بن رومان النصرانى إلى نسطاس جريج الطبيب المصرى».

سعيد بن البطريق

٢٦٣ ـ ٣٢٨ هـ / ٨٧٧ ـ ٩٣٩ م

من نصارى الفسطاط بمصر، ومتقدم بينهم، وكان طبيباً مشهوراً بصناعة الطب وعملها، متقدما فى زمانه، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم، ومولده فى يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة، ولما كان فى أول سنة من خلافة القاهر بالله محمد بن أحمد المنتصر بالله (٣٢٠ - ١٢٤ / ٩٣٢ - ٩٣٤ م) صير سعيد بن البطريق بطريكا على الإسكندرية وسمى أوثوشيوس، وذلك لثمان خلون من شهر صفر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. ولسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة. وبقى فى الكرسى والرئاسة سبع سنين وستة أشهر. وكان فى أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين شعبه. واعتل سعيد بن البطريق بمصر بالإسهال، وكان متميزا فى صناعة الطب، فحدس أنها علة موته فصار إلى كرسيه فى الإسكندرية، وأقام به أياما عدة عليلا ومات يوم الإثنين سلخ رجب من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة[1].

ولسعيد بن البطريق من الكتب :

١- كتاب فى الطب علم وعمل (مناديلى بحلب)[2].

٢- تفسير فصول أبقراط (مجلس شوارى)[3].

٣- كتاب الجدل بين المخالف والنصرانى.

٤-كتاب نظم الجوهر ثلاث مقالات، كتبه إلى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب فى معرفة صوم النصارى وفطرهم، وتواريخهم وأعيادهم وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين. وذكر البطاركة وأحوالهم، ومدة حياتهم ومواضعهم، وماجرى لهم فى ولايتهم، وقد ذيل هذا الكتاب نسب لسعيد بن البطريق، يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى، وسمى كتابه : كتاب تاريخ الذيل.

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٣/ ١٤٢ - ١٤٣

(٢) السامرائى، تاريخ الطب ٢/ ٥١٢ - ٥١٣ .

(٣) أحمد عيسى - معجم الأطباء ١٢٧ - ١٣٠

ابن الدايـــة

ت بعد ٣٣٠ أو ٣٤٠ هـ / ٩٤١ أو ٩٥١ م

هو أحمد بن أبى يعقوب يوســف بن إبراهيم يعرف بابن الداية، ويكنى بأبى جعفر، وكان أبوه يكنى أبا الحســن. وهو من فضلاء أهل مصر، وممن له علوم كثيرة فى الأدب والطب والنجامة والحســاب وغير ذلك. وله من التصانيف : سيرة أحمد بن طولون – كتاب سيرة ابنه أبى الجيش خمارويه – كتاب سيرة هارون بن أبى الجيش – أخبار غلمان بنى طولون – كتاب المكافأة – كتاب حسن العقبى – كتاب أخبار الأطباء – كتاب مختصر المنطق ألفه للوزير على بن عيسى بكتاب ترجمته – كتاب الثمرة – كتاب أخبار المنجمين – كتاب أخبار إبراهيم بن المهدى – كتاب الطبيخ.

كان أبــو يوســف بن إبراهيم أبو الحســن الكاتب فى خدمة إبراهيم بن المهــدى، وله كتاب فى أخبار المتطببين.

* * *

Obeikandl.com